الأقلية المنسية في الشرق الأوسط

نعوم ريدان و آدم حيفيتس

خلال الحرب الأهلية اللبنانية (1975–1990)، كان وقوف إسرائيل إلى جانب "حزب الكتائب" المسيحي مدعاة للقلق خصوصا لدى الطائفة الدرزية الإسرائيلية، التي يخدم جنودها في جيش الدولة اليهودية ويعتبرون عادة من بين أكثر المخلصين فيه. فما الذي سيحل بإخوانهم الدروز اللبنانيين الذين كانوا في ذلك الوقت الد اعداء حلفاء إسرائيل من "حزب الكتائب"؟

في هذا الصدد، أخذ عضو الكنيست الإسرائيلي السابق زيدان عطشي بزمام الأمور من خلال ترأسه فرقة عمل كان هدفها "إنقاذ" إخوانه في الدين في لبنان "ودعمهم والتعاطف [معهم] وإغاثتهم". واليوم يجد الدروز أنفسهم ثانية في وضع غير مستقر – وهذه المرة في سوريا. فهل يحذو الدروز حذو عطشي ويهبّون لنجدة إخوانهم الدروز في سوريا التي مزقتها الحرب، أم أنهم سيؤثرون البقاء على الحياد؟

في تشرين الأول/أكتوبر 2013، أعرب الشيخ موفق طريف، الزعيم الروحي للطائفة الدرزية في إسرائيل، عن قلقه إزاء مصير إخوانه السوريين من أبناء الطائفة، خلال اجتماع عقده مع الرئيس شمعون بيرس. وفي وقت سابق من ذلك العام، أرسل بعض زعماء الطائفة الدرزية في مرتفعات الجولان رسالة إلى رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو طلبوا فيها أن يمنح ملاذا آمنا في إسرائيل لأفراد أسرتهم المتواجدين في سوريا. وتذكر هذه الأحداث محاولات عطشي لمساعدة الدروز اللبنانيين خلال الحرب الأهلية التي وقعت في تلك البلاد. والآن، أكثر من أي وقت مضى، قد يرى الدروز أن مصيرهم في الشرق الأوسط مترابط ومتداخل عبر الحدود الوطنية.

بيد أن إسرائيل بذلت قصارى جهدها حتى الآن لتنأى بنفسها عن النزاع السوري، واقتصرت تدخلاتها على شن ضربات جوية معدودة. ولكن تحت عباءة هذا التدخل المحدود تكمن أواصر صلة شخصية عميقة بين الدروز الإسرائيليين وإخوانهم السوريين من أبناء طائفتهم. إن مصير هذه الأواصر قد يتحدى إسرائيل للاضطلاع بدور إنساني في النزاع أكبر من ذي قبل، خصوصا إذا اتخذ وضع الدروز السوريين منعطفا نحو الأسوأ.

ومع أن العضو الدرزي السابق في الكنيست الإسرائيلي آمل نصر الدين يعتقد أن "كل مجتمع درزي بحاجة إلى اتخاذ القرارات [حول شؤونه] بنفسه"، يزداد هذا الأمر صعوبة على خلفية الأزمة السورية. وفي أواخر السنة الماضية، أفادت التقارير أن تنظيم «الدولة الإسلامية في العراق والشام» برغم الدروز في محافظة إدلب السورية على اعتناق الدين الإسلامي الأمر الذي أثار سخط الشباب

الدرزي الإسرائيلي، حتى أن العديد منهم أبدى استعداده للقتال من أجل حماية إخوانه السوريين من أبناء الطائفة.

وتركت الكلمة الأخيرة حول كيفية تفاعل المجتمع الإسرائيلي لكبار رجال الدين الدروز، بمن فيهم طريف الذي دعا إلى ضبط النفس، ومع ذلك، فإن اختيار طريف البقاء على الحياد في الوقت الراهن لا يعني أنه يستبعد احتمال اتخاذ إجراءات جادة في المستقبل. وأوضح: "إذا استمر تدفق مختلف [المقاتلين الأجانب] إلى سوريا، مثل «جبهة النصرة» [ذراع تنظيم «القاعدة»] وغيرها، وإذا شعرنا أن الدروز في خطر حقيقي، فعندئذ سنقوم بإجراء إعادة تقييم."

وثمة قاسم مشترك واحد يجمع بين ردود فعل الدروز الإسرائيليين واللبنانيين على حد سواء، ألا وهو أن كلا الفريقين يسعى إلى حماية إخوانه في سوريا. ففي كانون الأول/ديسمبر 2013، قال الزعيم الدرزي اللبناني ورئيس "الحزب الديمقراطي اللبناني" طلال أرسلان إنّ "[الدروز] مسلمون شأنهم شأن كافة المذاهب [الإسلامية] الأخرى." وكان يمكن لأرسلان ببساطة أن يدين الاعتناق الإكراهي، ولكنه فضل ألا يصب الزيت على النار وسط الوضع الحرج أصلا الذي يعيشه الدروز السوريون. وعوضا عن ذلك، اختار أن يصف الدروز في محافظة إدلب، حيث يتعاظم نفوذ المتطرفين السنة، بأنهم جزء من النسيج الاجتماعي السوري – وليسوا دخلاء عليه. لقد شعر كل من أرسلان وطريف بالمسؤولية تجاه إخوانهما في الطائفة، واستجابا بطرق لا تتسبب لهم المزيد من الأذى.

ويمكن لأي طرف أن يستحوذ على المحافظات التي تقع على الحدود مع السويداء التي تُعد معقل الدروز السوريين. ومع أن محافظتي درعا والقنيطرة تتأرجحان بين أيدي النظام والمعارضة، ثمة أمرٌ وحيد مؤكد، وهو أن "مستقبل الدروز في سوريا يكمن مع الغالبية السنية العربية"، على حد تعبير الزعيم الدرزي اللبناني وليد جنبلاط خلال مقابلة أجراها في وقت سابق من هذا العام. وأضاف "ادعوهم إلى محادية أنفسهم [عن النزاع] إذا أمكنهم ذلك." والحقيقة أن بُعد نظر جنبلاط أتاح له التنبؤ بمستقبل يعيش فيه الدروز السوريون في محيط سني. وردا على ذلك اتخذ مواقف لن تخلف تداعيات سلبية على أخوانه السوريين من أبناء الطائفة.

أما على الجبهة المحلية، فقد بذل جنبلاط قصارى جهده لإصلاح علاقاته مع «حزب الله»، خصوصا بعد قيام [ميليشيا] الحزب الشيعي بمهاجمة مختلف القرى الدرزية في لبنان في أيار/مايو 2008. ومع ذلك، ففي ما يتعلق بسوريا، يعتقد جنبلاط أن «حزب الله» ارتكب "خطأ تاريخيا" بإقحام نفسه في الصراع، حتى أنه ذهب إلى حد دعوة الدروز السوريين إلى الانشقاق عن جيش النظام في بداية الانتفاضة. ويرى جنبلاط أن مسؤوليته نحو نجاة الطائفة تتجاوز الحدود الوطنية. ويكمن وراء مواقف جنبلاط من «حزب الله» إدراكه بأن مصير الدروز متشابك مع هذه المواقف. لذلك لا تشكل مواقفه خطرا على الدروز في لبنان حيث ينتمي «حزب الله» دويلة حقيقية، كما لا تعرّض الدروز في سوريا للخطر – وهي البلاد التي تزداد فيها سيطرة الإسلاميين المتطرفين.

ومع تدفق اللاجئين والمقاتلين الأجانب والأسلحة عبر الحدود الوطنية، بات واضحا لبعض الوقت أن الأزمة السورية ليست "مشكلة سورية" بحتة، وتُعد قصة الدروز مثالا آخر عن صلة المنطقة ككل بهذا الصراع. وخلال الحرب الأهلية اللبنانية، أصر عطشي على أن العلاقات الأخوية بين الدروز هي أقوى من الخلافات السياسية. وقال لصحيفة «كريستيان ساينس مونيتور»: "إن الدروز هم مثل علبة نحاس. إذا ضربتها من إحدى الجوانب، تدوي العلبة بكاملها".

وفي الوقت الحاضر، تسبب الأزمة السورية رن علبة النحاس المذكورة مرة أخرى. وحين يناقش اللبنانيون تأثير الحرب عليهم، يميلون إلى التركيز على اللاجئين، وانخراط «حزب الله»، وتسلل المقاتلين الأجانب. أما بموضوع الدروز فيلفتون الإنتباه إلى طبقة أخرى من الترابط الذي نادرا ما يتم مناقشته وهو: الاحتمال الكبير بأن تؤثر الأزمة على مجتمعات الأقليات الموزعة بين مختلف البلدان.

عن «معهد واشنطن لسياسات الشرق الأوسط»

لستم بمفردكم !

عمرو حمزاوي

يا من تبحثون عن وطن عادل ومتسامح ومتقدم، يحترم كرامة الإنسان ويمتنع عن امتهانها، ويجتهد لكي يوفر لها مقومات صونها المتمثلة في المساواة وتكافؤ الفرص وحق الاختلاف وحرية الاختيار والمبادرة الفردية ، لستم بمفردكم.

يا من تبحثون عن وطن عادل ومتسامح ومتقدم، يرفع الظلم ويجبر الضرر عن الضحايا ويحفظ للجميع حقوقهم وحرياتهم دون تمييز، لستم بمفردكم.

يا من تبحثون عن وطن عادل ومتسامح ومتقدم، يواجه الجهل والفقر والفجوة الواسعة بين ميسوري الحال ومحدودي الدخل ، ويحقق العدالة الاجتماعية والتنمية المستديمة ، ويرفع مستويات الخدمات الأساسية التي يحصل عليها المواطن، لستم بمفردكم.

يا من تبحثون عن وطن عادل ومتسامح ومتقدم، يدرك أن الضمير والعقل والعلم والمعرفة والمعلومة ، هي سمات البشر التي تميزهم عن غيرهم من مخلوقات الله ، وأدوات الدول والمجتمعات حين ترغب في تحطيم أصنام الجمود / التأخر / التخلف / التواكل وانتظار معجزات أبدا لا تأتي، لستم بمفردكم.

يا من تبحثون عن وطن عادل ومتسامح ومتقدم، يرفض حكم الفرد وصناعة الفرعون الذي لا يساءل ولا يحاسب ، ويريد أهله أن يدار شأنه العام عبر مؤسسات منتخبة ، وفي إطار سيادة القانون وتداول السلطة، لستم بمفردكم.

يا من تبحثون عن وطن عادل ومتسامح ومتقدم، تتطهر مؤسساته العامة والخاصة من الفساد ومن التورط في انتهاكات للحقوق وللحريات وفي الاستغلال غير المتوازن لموارد المجتمع ، ويراقب به الناس شاغلي المناصب العامة والخاصة ، ويحاسبون في محاسبتهم القانونية المنضبطة حين يتجاوزون وبغض النظر عن مواقعهم وتحالفاتهم وشبكات مصالحهم، لستم بمفردكم.

يا من تبحثون عن وطن عادل ومتسامح ومتقدم، يأبى على إنسانيته أن تتراكم للممارسات القمعية وانتهاكات الحقوق والحريات ، وتتواصل به ظواهر كارثية كالاعتقالات العشوائية والحبس الاحتياطي من دون سقف زمني نهائي والاختفاء القسري ، ويصمت عنها ويتأى بضميره الجمعي عن فرض الصوت الواحد والرأي الواحد ، وعن قمع وتخوين المعارضين والمغردين خارج السرب ، بغض النظر عن هوياتهم وانحيازاتهم، لستم بمفردكم.

يا من تبحثون عن وطن عادل ومتسامح ومتقدم، يثق أهله في أن الدولة ومؤسساتها تتماسك بالعدل ، وأن سبيل القضاء على العنف وإنجاز السلم الأهلي هو التوافق وقبول الاختلاف والتنوع ، ومشاركة جميع الفئات في إدارة الشأن العام ، إذا التزمت بالسلمية وبالقيم الديمقراطية ، وابتعدت عن الاستعلاء والتمييز، لستم بمفردكم.

يا من تبحثون عن وطن عادل ومتسامح ومتقدم، تناقش عبر ماضيه وأزماته وتحدياته وقضاياه واقعه وطموحات وفرص مستقبله ، في مجال عام متوازن وتعددي ويبتعد به الإعلام العام أو الخاص عن تزييف وعي الناس ، وعن التورط في خدمة الحاكم / السلطان أو منظومة الحكم / السلطة، لستم بمفردكم.

يا من تبحثون عن وطن عادل ومتسامح ومتقدم، طالعوا مشهد الانتخابات الرئاسية جيدا ، وحللوا العوامل الحاضرة به والغائبة عنه جيدا ، لتدركوا أنكم لستم بمفردكم.

عن «الشروق» المصرية

لماذا لا تندلع انتفاضة فلسطينية جديدة؟

ياسر الزعاترة

في مواقع التواصل الاجتماعي، وكلما كتبنا عن الوضع في الضفة لجهة قمع الاحتلال أو قمع السلطة التابعة له، أو لجهة الممارسات الصهيونية ضد الأقصى والقدس والمقدسات يطرح علينا السؤال ذاته، وهو لماذا لا تندلع انتفاضة جديدة في الضفة الغربية ضد ذلك كله؟

والحق أنه سؤال بالغ الأهمية، ومن حق الناس أن يطرحوه، والسبب هو أن الأجواء العامة –التي اندلعت خلالها انتفاضة الأقصى صيف عام –2000 تبدو متوافرة هنا ربما بشكل أكثر وضوحا، فلماذا لا يتكرر السيناريو ذاته وتندلع الانتفاضة؟

هذه الأيام يتكرر المشهد ذاته الذي عايشناه قبل اندلاع انتفاضة الأقصى، فمشروع أوسلو2 إن جاز التعبير يمضي نحو طريق مسدود، وإن أصر عرابه (محمود عباس) على المضي فيه، أو التلويح بمسارات لا تسمن ولا تغني من جوع، مثل اللجوء إلى المؤسسات الدولية بهدف تحذير الناس، في الوقت ذاته الذي يصر فيه على بقاء التنسيق الأمني مع العدو، ويفتخر بأنه (100%)، وهو تنسيق يمعن في شرفاء الشعب الفلسطيني اعتقالا وتعذيبا وإهانة.

في ما يتعلق بالمسجد الأقصى والقدس يبدو المشهد أكثر وضوحا لجهة الاستهداف، فالصهاينة يمعنون في تسريع عملية التهويد، ويشرعون في عملية التقسيم الزماني والمكاني للمسجد الأقصى وسط عمليات اقتحام متوالية من قبل المستوطنين والمتطرفين، بحضور لافت من قبل أعضاء كبار في الكنيست، وفي ظل حماية الجيش والأمن.

ولا يتوقف الأمر عند ذلك، بل يتجاوزه إلى تأكيد تلو تأكيد من طرف نتنياهو على أن القدس ستبقى العاصمة الموحدة للشعب اليهودي ما دام هو في الحكم، وفي ظل إجماع على أن مسألة القدس والهيكل غير قابلة للمساومة بالنسبة لجميع الفرقاء السياسيين في الساحة الإسرائيلية (انضم حزب العمل إلى المطالبين بتقسيم الأقصى).

هنا والآن، لا يحتاج الشعب الفلسطيني إلى كثير ذكاء كي يدرك أن مآل مشروع التفاوض الجديد –الذي يقوده محمود عباس– لا يمكن أن يعود عليه بأكثر مما عاد به بعد رحلة أوسلو الأولى، بل إن كافة المؤشرات تؤكد أن عرابيه لن يحصلوا على العرض القديم بقدر ما سيضطرون إلى القبول بالحل المؤقت ممثلا في الدولة المؤقتة في حدود الجدار، والتي ستعقد في حالة نزاع (مجرد نزاع حدودي) مع جارتها، لا سيما حين تحصل على العضوية الكاملة في الأمم المتحدة (هذا ما ستستفيده من اللجوء للمؤسسات الدولية).

إن ما ينبغي ألا يغفله الكثيرون هو أن جهود الحيلولة دون اندلاع انتفاضة جديدة في الضفة الغربية ليست من النوع الهامشي أو البسيط، بل هي جهود مضنية تشارك فيها عدة أطراف مهمة، في مقدمتها السلطة الفلسطينية وقيادتها، إلى جانب سلطات الاحتلال بكل أجهزتها الأمنية والاستخبارية، وهناك أيضا الدعم الأميركي والغربي أيضا، بل إننا إزاء جهود تحظى بدعم عدد من الدول العربية التي تخشى هذا السيناريو وتعمل على منعه بكل وسيلة ممكنة، وهي في المحصلة تلتقي على عملية إعادة تشكيل لوعي الجماهير كي لا تفكر في الاتجاه المشار إليه مهما حصل من تطورات.

عبر مسار الجنرال دايتون الأمني (والفلسطيني الجديد) –كما سماه– بدأت لعبة الحيلولة دون اندلاع الانتفاضة، أي عبر رجل أمن لا يرحم في مواجهة فكر المقاومة، ولا يجد أي حرج في التنسيق مع عدوه، وفي هذا السياق استبعد ثلاثة آلاف ضابط وعنصر من القدامى الذين لا تنطبق عليهم المعايير الجديدة.

إلى جانب المسار الأمني بالغ الأهمية كان المسار الاقتصادي بقيادة وتنسيق توني بلير، وعبره جرى إشغال الناس بالمال والأعمال، وجرى تشجيع ذلك عبر الاستيراد والتصدير وإشغال الناس بالاستثمار، وإزالة العدد الأكبر من الحواجز، وصولا إلى عقد اتفاقات مع العدو بعيدة المدى كان الوضع نهائي مثل اتفاقي المياه والغاز.

في البعد الأمني ومحاصرة الشقوق التي يمكن أن يتسلل إليها فكر الانتفاضة، جرت عملية مطاردة ممنهجة للمساجد والجامعات، وطوّرت أيضا شرفاء الشعب الذي يمكن أن يتحركوا بين صفوفه مبشرين بمسار جديد، لكن الأهم من ذلك كله هو إيجاد فضاء مشجع على ذلك في أوساط حركة فتح التي تتسيد الساحة في الضفة في ظل استهداف كبير لحركة حماس والجهاد، وكل من يفكر في تفعيل المقاومة.

قد تضاف أجواء الانقسام إلى أسباب عدم انفجار الانتفاضة، لكنها ليست السبب الأكبر كما يزعم البعض، أما نظرية أن الشعب تعب ويريد أن يرتاح فليست ذات قيمة، لأن الأجيال الجديدة هي التي تتكفل بتفجير الانتفاضة وبذل التضحيات على الأرجح، وإذا كان ذلك قد حدث في دول عربية ضد أنظمة قمعية فلماذا لا يحدث ضد احتلال هنا في فلسطين؟!

ربما كانت الأجواء العربية المحيطة غير مشجعة بسبب تعثر الربيع العربي، لكن الشعب الفلسطيني كان يفجر انتفاضاته دون أن يكون هناك ربيع عربي، بل إن فرص دعم انتفاضته الآن تبدو أكبر بكثير في ظل الزخم الشعبي في الشارع، وهو ما ينبغي أن يشجعها لا أن يمنعها.

على كل حال، إن ما يجري لا يدعو إلى التشاؤم، ومحاولات المقاومة –بما فيها المسلحة– تتواصل وإن أجهضها التنسيق الأمني (عملية الخليل قبل أسابيع كانت فلتة نجاح رائعة)، لكن الانفجار الكامل يبقى في علم الغيب، لا ندري متى سيكون، مع تقتنا بأن الشعب الفلسطيني لن يقبل بهذه المأساة التي تتحرك أمامه، وسيعرف كيف يقلب الطاولة في وجه الجميع، وفي مقدمتهم من حولوا السلطة إلى استثمار لهم ولأبنائهم، فيما يجدون حولهم مَن يطبلون لهم، مع الأسف الشديد.

يأتي هنا سؤال المصالحة وحكومة الوحدة وعلاقتها بالانتفاضة الجديدة، وفي اعتقادنا أن برنامجها في وعي قادة السلطة إنما يدفع باتجاه استبعادها (أعني الانتفاضة) أكثر من أي شيء آخر، إذ إنها لا تعني في وعيهم سوى انتخابات تؤكد سيطرتهم على المنظمة والسلطة (بشرعية انتخابية)، وتؤكد المسار التفاوضي ذاته، أو اللجوء للمؤسسات الدولية، بما ينطوي عليه من تأييد للاحتلال عبر جعل الصراع مجرد نزاع حدودي، ويخطئ الطرف الآخر (حماس) إن اعتقد أن النتيجة ستكون غير ذلك في ظل إجراء الانتخابات والسيف مسلط على رقاب الشعب، ويقول له "إما فتح ومن حولها، وإما الحصار"، وفي ظل أجواء أخرى تحدثنا عنها من قبل.

يبقى القول إن الانتفاضة يمكن أن تكون شعبية وليست مسلحة، لكنها ليست كما يراها البعض مجرد مظاهرات موسمية، بل اشتباك كامل مع الاحتلال وحواجزه ومستوطنيه، وتحد عملي لكل سياساته وإجراءاته.

أما الأهم، فهي تحتاج طليعة من أبناء الشعب تفجرها، وبعد ذلك تلتحم معها البقية بالمشاركة، أو بمنحها الحاضنة، أما جماهير الأمة فستمنحها حاضنة أكبر، وسيكون موقف الأنظمة العربية محرجا وسيضطر إلى الدعم خشية ردود الفعل الداخلية.

عن "الجزيرة نت"